عالم بائد

« . . . إن خلف الأفق الأسود للعصر الذري الجديد يوجد أمل إذا قبضنا عليه بثقة وأمانة فسيمكنه أن ينقذنا ويخلص أرواحنا، أما إذا فشلنا فإنا نكون قد حكمنا إلى الأبد على كل انسان أن يصير عبداً للخوف ! . . . ! »

عالم بائد

« إن خلف الأفق الأسود لعصر الذرّي الجديد يوجد أمل إذا قبضنا عليه بثقة وأمانة فسيمكنه أن ينقذنا ويخلص أرواحنا ، أما إذا فشلنا فانا نكون قد حكمنا إلى الأبد على كل إنسان أن يصير عبداً للخوف » دعونا لا نخدع أنفسنا ، إما أن نختار عالم السلام أو عالم التدمير والهدم . لقد انتزع العلم من الطبيعة سرًّا هائلاً في احتمالاته حتى إن عقولنا ترتجف من الهلع الذي خلقه ، ومع ذلك فان الخوف وحده لا يكفي لمنع استخدام القنبلة الذرية. إن الهلع الذي خلقته الأسلحة لم يوقف الانسان أبداً عن استخدامها . وقد أمكن إنتاج دفاع ضد كل سلاح جديد في الوقت المناسب ، أما الآن فنحن نواجه حالة لا يوجد فيها دفاع كافٍ .

« إن العلم الذي أعطانا هذه القوة المميتة يبين لنا أنه يمكن تكييفها لتكون مساعدة هائلة للانسانية ولكن العلم لا يظهر لنا كيف نتجنب استعمالها الشرير ! » .

بهذه الكلمات بدأ برنارد. م. باروخ ممثل الولايات المتحدة في لجنة الطاقة الذرية بهيئة الأمم المتحدة خطابه الذي ألقاه عند افتتاح اللجنة لأعمالها في الرابع عشر من يونية سنة ١٩٤٦ . بهذه الكلمات الحية عبّر برنارد باروخ عن الخطورة الفائقة التي تكتنف المجتمع البشري ، والتي يتعرض لها كيان الانسانية فوق هذا الكوكب الذي راد علماؤه عالم المجهول ، وانتزعوا من قمقمه العتيق مارد الذرّة الهائل ، وأعني به الطاقة الكامنة الجبارة . . .

إن البشر اليوم يقفون لدى الحد الفاصل بين عالمين : عالم هادىء سالم مرفه تغلبت فيه نزعة الخير في الانسان على نزعة الشر ، وأدرك آدميوه خطورة القوة الجديدة فآثروا التفاهم والتوافق واستعباد هذه القوة الجديدة الهائلة في العمل والانتاج وفي سبيل رفاهية البشرية عوضاً عن أن يستعبدهم مواردها الجبار ويودي بهم الى فناء حتمي ، عالم أنقصت فيه ساعات

العمل من جراء هذا الاستعباد الجديد للقوة الذرية وغدا المرهقون وهم لا يعملون في اليوم أكثر من ساعتين أو ثلاث ساعات . وكما يقول البروفسور بول لانجفان العالم الفرنسي المشهور بأبحاثه الذرية : عالم سيجد فيه كل فرد تحت تصرفه من القوة الذرية ما يساوي في الانتاج والعمل إثنا عشر عبداً من أقوى عبيد القرون الوسطى ، وبذلك تتوافر للعائلة الواحدة بين أربعين وستين عبداً حديثاً ويستطيع هؤلاء العبيد الاشتغال في الزراعة والمناجم والانارة وغير ذلك من الأعمال الشاقة التي ترهق الانسان الى جانب استخدام النشاط الذرّي في كثير من الصناعات الدقيقة الهامة وفي علاج عديد من الأمراض المستعصية

أما العالم الآخر فهو عالم خرب مهدم ، وكل الانسان فيه رأسه وأبى أن يستجيب إلى نداء العقل والمنطق واستمع إلى أنغام الشر وقد أرسلها في أجوائه مارد الخراب من قيثاره الجحيمي .. عالم نشبت فيه حرب ذرية أدت إلى خراب عاجل وتدمير مكتسح .

وليس على آدم اليوم إلاّ أن يختار بين ذلك العالم الجميل الذي تحلم به الانسانية وبين هذا العالم الأسود الذي ترنو إليه زبانية الجحيم .. !!

وقد يحسن بنا أن ننتقل من هذه الاحتمالات والنظر الى المستقبل إلى استجلاء الحاضر وما يجري على المسرح الدولي وخلف ستار العالم — بشأن هذه الطاقة الجديدة .

إننا إذا ما استقبنا الموقف الدولي رأينا أن الولايات المتحدة تملك اليوم قنابل ذرّية كما أنها تجمع المواد التي يمكن أن تستخدم لصنعها . وهي تسير بهذا البرنامج قُدُماً إلى الأمام بميزانية سنوية تبلغ حوالي خمسمائة مليون دولار . كما أن بريطانيا العظمى تعمل لانتاج القنابل الذرية . وفي السادس من نوفمبر سنة ١٩٤٥ قال مولوتوف « ستكون لنا نحن أيضاً طاقة ذرية وأشياء أخرى كثيرة » .

من هذا العرض نرى أن سباقاً في التسلح الذري قد بدأ شوطه على المسرح الدولي ، ذلك التسابق الذي يجلب القلق وعدم الأمان إلى جميع الأمم ، ومع هذا فإن كل أمة من الأمم المتحدة تتمنى مستقبلاً آمناً أكثر من أي شيء آخر . وبذا فإن إشرافاً عالمياً دقيقاً قوياً على الطاقة الذرية والمواد التي تستخدم لانتاج الأسلحة الذرية أمرٌ بالغ الأهمية لا بدّ من تحقيقه فوراً . فاذا نحن لم نعمل على توفير طريقة لتحقيق ذلك الاشراف فانه يبدو أن

الاختيار الوحيد للعالم هو إنهاء سباق في التسلح الذري سينتهي ولا شك كما انتهى كل سباق للتسلح في الماضي إلى الحرب .

وقد يسأل البعض : هل يمكن لدول أخرى بجانب انجلترا والولايات المتحدة انتاج القنابل . والجواب على هذا التساؤل هو الايجاب الجازم ، فأي سلاح ابتكره الانسان وتي فقط ملكاً للدولة التي نشأ فيها ؟ . لقد كان انتاج القنابل الذرية عملاً مستعصياً على الفهم ولكن هكذا كان إنتاج الدبابات والطائرات وغير ذلك من أسلحة الحرب الهامة . إن الولايات المتحدة هي أعظم قوة صناعية في الوقت الحاضر ، وفي إمكانها أن تصنع هذه الأسلحة أسرع من أي دولة أخرى . وقد فعلت . ولكن من المراء أن نظن ان الدول الاخرى لا يمكنها أن تعلم كل الدقائق الانتاجية لها وتحسن طرق ذلك الانتاج ..

وقد يعود المستفهم فيسأل : وكم من الزمن يلزم الدول الأخرى لتصنع هذه الأسلحة ؟ تختلف التقديرات في هذه الوجهة ، ويعتقد أغلب الرجال العلميين والصناعيين الذين ساعدوا في إنتاج القنابل الذرية ان هذا الزمن يتراوح بين خمس وعشر سنوات ويجزم الدكتور فردريك سيتز والدكتور هانز . ا . بيث أن ست سنوات أو أقل كافية لأن تنتج الدول الأخرى القنابل الذرية

وإن أقوال هذين العالمين لهي أقوال يعتدُّ بها . فالدكتور فردريك هو أستاذ قسم الطبيعة بمعهد كارنجي الصناعي ، وقد انضمَّ في شتاء سنة ١٩٤٣ الى معمل المتالورجيا بجامعة شيكاغو ليبحث في مسائل تتعلق بصنع البلوتونيوم بالقنبور . أما الدكتور هانز فقد كان محاضراً للطبيعة في جامعة توبنجان بألمانيا وفقد مركزه سنة ١٩٣٣ لدى قدوم هتلر . وفي سنة ١٩٣٥ ذهب الى جامعة كورنل بالولايات المتحدة حيث يعمل الآن أستاذاً لعلم الطبيعة . وفي خلال الحرب كان مديراً لبحوث الطبيعة النظرية في لوس ألموس .

وبذا فنحن نرى أن الدول الأخرى غير الولايات المتحدة وانجلترا يمكنها أن تصنع القنابل الذرية في أمد قصير . فما هي الأطوار المتتابعة التي يمكن أن يمر بها تسابق عالمي في التسلح الذري ؟ .

إن العالم الرفيع لانجمير وهو من أبرز العلماء الصناعيين في أمريكا والذي نال

جائزة نوبل في الكيمياء سنة ١٩٣٢ يقول إنه في الطور الأول من أطوار هذا التسابق الذرّي سنجد أن الولايات المتحدة وحدها سيكون لديها قنابل ذرية وأنها ستجمع مورداً أو أصلاً من هذه القنابل ، في حين أن الأمم الأخرى ستكون في طور إعدادي لصنع تلك القنابل . وفي خلال ذلك الزمن ستكون الولايات المتحدة في مركز آمن .

وفي الطور الثاني سنجد أن واحدة أو أكثر من الأمم قد بدأت في إنتاج القنابل الذرّية، في حين أن مورد الولايات المتحدة قد يصل في ضخامته الى درجة أنه سيتوافر لها من القنابل ما يكفي لتدمير معظم المدن لأي دولة معادية . وفي خلال ذلك الطور ستكون الولايات المتحدة آمنة نسبيًّا . فاذا وصلنا الى الطور الثالث فان كثيراً من الأمم ستمتلك من القنابل ما يكفي تقريباً لتدمير جميع المدن لأي دولة معادية . وأثناء تلك المرحلة من مراحل التطوّر لن تكون هناك أمة آمنة. ولكن حيث أن أي هجوم تشنه أي أمة من الأمم سيتبعه لاشك هجوم انتقامي مماثل فان هجوماً مفاجئاً لن يفيد الدولة التي تشنه ، إذ لن تلبث الدولة المُهاجمة أن تبدأ حرباً انتقامية فتلقي قنابلها الذرية المكتسحة على مدن العدو .

فاذا استمرّ سباق التسلح الذري زمناً كافياً فمن المحتمل أنه ستكشف طرق يمكن بها تخفيض الثمن الانتاجي للقنابل الى حدٍّ كبير ، أو قد تصنع أنواع جديدة من القنابل أقوى ألف مرة من القنابل الحاضرة . فالطور الرابع سيجلب قلقاً لا يمكن لمعظم الأمم أن تتحمله . وبذا فإن الأمة التي تحس أنها أحسن الأمم استعداداً تجد نفسها مرغمة على أن تبدأ حرباً خاطفة ماحية . لتتجنب الخطر من أن تدمر تدميراً تامًّا . ويقف العالم ارفينج لانجمير في تحليله لأدوار التطور عند هذا الحد ويقول إن المنتصر في مثل هذه الحرب عليه أن يسيطر على العالم أجمع بقوة ويقظة حتى يأمن خطر القنابل الذرية .

ولكن لنفرض أن معظم دول العالم توصلت في نفس الوقت إلى تقوية طرق الاهلاك بالسلاح الذري وغيره من تلك الأسلحة الى درجة فائقة بجانب انقاص الثمن الانتاجي لها وأن كل دولة وصلت الى تلك الدرجة الحرجة التي تحس عندها أن عليها أن تهدم العالم لتعيش وأن حرباً ذرية هائلة لم تلبث أن أشعلها الجميع في وقت واحد ، فماذا تكون النتيجة

إن النتيجة أن القنابل الذرية والسموم الاشعاعية وغيرها من الأسلحة الفاتكة الهدامة

ستستمر في تدمير المدن وفي قتل البشر ولكن لن تلبث نيران الحرب المندلعة أن تخمد من تلقاء نفسها حين لا يبقى فوق هذا الكوكب ما يصلح لأن يكون هدفاً للتخريب والهدم أو القتل

وبعد .. إن الأعشاب ستبدأ تنمو فوق خرائب المدن الكبيرة واطلال الحضارات البائدة وستخرج النباتات من بين أحجار المتاحف والقصور والمعابد ويشرع جمع من البشر الذين نجوا من المجزرة الهائلة بمعجزة فيحتشدون فوق جزيرة مجهولة لتربية الدواب وزراعة الأرض البور ثم تبرز حضارة جديدة ترفع رأسها تحت سماء جديدة ..

فهل ترى يستمع سكان هذا الكوكب إلى نداء السلام والحب ؟